حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد يناير – مارس ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الصراعات المذهبية في العصر العباسي ودور الترك والفرس فيها

عبد السلام عبد اللطيف عبد العزيز أحمد الهولي *

قسم التاريخ

المستخلص

لقد شهد العصر العباسي تفجر الصراعات ألمذهبية و بين السنة والشيعة بصورة خاصة في العصر العباسي الثاني ، ووصلت إلى مداها في العصر البويهي، وكان للصراع التركي الفارسي المحتدم خاصة في العصر العباسي الثاني الدور الكبير فيه، مع التذكير بأن الفرس كانوا في الغالب من ألشيعة في حين كان الأتراك في الغالب من السنة، فكان لكلاهما الدور في إشعال هذه الصراعات المذهبية التي لعبت دورا سيئا في شق صفوف ألمسلمين والتسبب في صراعات دموية محتدمة لم تهدأ حتى نهاية العصر البويهي، على أن هذه الصراعات المذهبية لم تكن وليدة أللحظة ولكن كان لها جذور قديمة سيتم التطرق لها منذ بداياتها في الدولة العباسية منذ تأسيسها، وصولا إلى المد والجزر في العلاقات بين السلطات الرسمية مع السنة والشيعة بشكل خاص، وصولا إلى العصر البويهي، الذي شهد احتدام الصراع المذهبي بشكل خطير وتناول البحث هذا استعراض أهم ما صاحب هذه الفترة من صراعات محتدمة سنية شيعية كان للأتراك والفرس الدور فيها في كثير من الأحيان.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

شهد العصر العباسي تفجر الصراعات ألمذهبية بين السنة والشيعة و خاصة في العصر العباسي الثاني ووصلت إلى مداها في العصر البويهي وكان للصراع التركي الفارسي المحتدم خاصة في العصر العباسي الثاني الدور الكبير فيه، مع التذكير بأن الفرس كانوا في الغالب من ألشيعة في حين كان الأتراك في الغالب من السنة، فكان لكلاهما الدور في إشعال هذه الصراعات المذهبية التي لعبت دورا سيئا في شق صفوف ألمسلمين والتسبب في صراعات دموية محتدمة لم تهدأ حتى نهاية العصر البويهي، على أن هذه الصراعات المذهبية لم تكن وليدة أللحظة ولكن كان لها جذور قديمة سيتم التطرق لها منذ بداياتها في الدولة العباسية منذ تأسيسها

تعريف السنة والشيعة : بالنظر إلى تسمية الطائفة الأولى بالسنة، فهي تعني أنهم هؤلاء الذين يتبعون سنة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ولعل أساس تسميتهم نسبة لما قاله عليه السلام في حجة ألوداع عندما قال (تركت لكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدآ كتاب أله وسنة نبيه) كما عرفة الطبري (تاريخ الطبري) أما تسمية الشيعة، وهي تعني رجال و مؤيدون، ويقصد بهم هنا أنصار الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين يرون في حقه في الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم يرون أن الإمامة لا تفوض إلى ألأمة وأنه كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يعين الإمام لهم، كما أنهم يرون أن الإمام معصوم من الخطأ (ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون)

الأوضاع المذهبية في العصر العباسي الأول : نظرا لصلة القرابة بين العباسيين والعلويين حيث كانا كلاهما من بني هاشم فقد كانا خلال عصر الدولة الأموية في خندق واحد في مواجهة ألأمويين وعندما تم للعباسيين ألانتصار وإسقاط الدولة الأموية سنة (١٣٢ه/٧٤٩ م)، ومن ثم تأسيس الدولة العباسية تبدلت الأحوال بين ألأقارب ودب الخلاف بينهما ووصلت هذه الخلافات مداها عندما قامت ثورة العلويين بقيادة محمد ذو النفس الزكية في سنة (١٤٥ه /٧٦٢م)، والتي قمعها الخليفة المنصور بقسوة، وقتل قادتها، ومارس العباسيون بعدها التضييق على العلويين حتى أن الكثير من رجالات الدولة الشهيرين قد نكبوا بسبب دعوتهم للعلويين أمثال يعقوب بن داود وزير ألمهدي أو جعفر البرمكي وزير الرشيد وغيرهم. ومال العلويين من بعدها للعمل السري نتيجة الحجر الذي فرض عليهم بشكل رسمي منذ ذلك ألوقت حيث كانت تعقد لهم حلقات سرية في بغداد مثل هذه التي كانوا يجتمعون بها في باب الطاق، وهي محلة شيعية في دكان شيخ تبان، ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من ألأحاديث وكان فيهم قوم سراه، وتناء، وأهل بيوتات، سوى من يسترق السمع منهم من خاصة ألناس حتى أن عهد الخليفة الرشيد قد شهد إخراج العلويين من بغداد إلى المدينة ألمنورة وظل من بقي منهم في بغداد مستترا، ولذلك كان من الصعب تتبع مجتمعهم في القرن الأول من الحكم ألعباسي حتى لم يسمع عنهم كمجتمع في بغداد ولعل أشهر معاقلهم كان مسجد براثا، الواقع عند نهر عيسي إضافة إلى الكرخ، وهو يعتبر الحي الشيعي الأكثر قوة و ايضا المركز التجاري في بغداد والذي ظهر إلى الوجود بعد إزالة الخليفة المنصور لمكان ألأسواق والذي أتسم بالسمة الشيعية كما كانت هناك محلات شيعية صغيرة ذكرها أبن الجوزي، من أمثال المحلة الشيعية عند نهر طابق غرب بغداد إضافة لمحلة سوق ألسلاح وباب الطاق، وسوق يحيى إضافة لمحلة الفرضة .

الخليفة المأمون والميل للتشيع والاعتزال: لقد تغيرت العلاقة بين الدولة العباسية و العلويين في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ه/٨١٢م) الذي عرف بميله للتشيع، نظرا لتأثير حاشيته من الفرس عليه، وبخاصة وزيره الفضل بن سهل، والذي أتهم بمحاولة تحويل الدولة العباسية إلى دولة كسروية فارسية[١]، وظهر ذلك بعد انتصاره على أخيه الأمين، حيث فاجأ المأمون الجميع باتخاذ الإمام العلوي علي الرضا كولي لعهده، كما قام بإبدال

راية العباسيين السوداء براية العلويين الخضراء ولبس الملابس الخضراء بدلا من السوداء، حتى بدا أنه سيسلم الخلافة إلى العلويين مما دعا العباسيون للتفكير في عزله عن الخلافة على أن علي الرضا لم يلبث أن توفي وقام بنو العباس بمبايعة إبراهيم بن المهدي ولقبوه بالمبارك، وخرجوا على المأمون الذي قام إعادة راية العباسيين السوداء وأرتدى السواد بدلا من الأخضر مما ساهم في تهدئة الثوار. ونظرا لميل الخليفة المأمون للتشيع فقد عزم في سنة ٨٢٧م على لعن معاوية بن أبي سفيان على منابر بغداد على أن رجاله نصحوه بترك ذلك نظرا لإهتمام البغداديين الشديد بالمذاهب الدينية، خاصة وأن انضوائهم تحت ألويتها كان يسمح لهم بالتعبير عن موقفهم من الأوضاع العامة، ونظرا لكون غالبية عامة بغداد من السنة، فقد مارسوا نوعا من المراقبة لسلوك بعض رجال السلطة تجاه المذاهب ولذلك أشير على المأمون بعدم إظهار الميل إلى فرقة من الفرق[٢].على أن الخليفة المأمون قام في سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م) بالقول بخلق القرآن ألكريم وقام بامتحان العلماء في ذلك وقامت سلسلة من المحاكمات التي عرفت بالمحنة، والتي تعرض خلالها أكثر من عشرين من رجالات الدين للتنكيل كان من بينهم الإمام أحمد بن حنبل وارتبطت هذه الدعوة بتفضيل المأمون لعلي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر، وتبنيه مذهب الاعتزال[٣].حيث كان الاعتزال يعتبر مذهبا وسطيا، فهو يتفق مع الشيعة في بعض المواقف السياسية و ألعقائدية خاصة تأييد وجهة نظر علي بن أبي طالب في الحرب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان[٤]، ويتبرؤون من معاوية وعمرو بن العاص في شقهما الطاعة ويلتقون مع الشيعة بالأمر بالمغروف ويقولون بحق الأمة بالثورة تحت راية إمام عادل وإن كانوا يخالفون الشيعة في مبدأي الوصية للإمام وعصمته.ويجب ملاحظة أن الاعتزال والتشيع قد ارتبطا بعلاقات ثقافية وشخصية بين شيوخهما فالأصول الفكرية لشيخ الاعتزال واصل بن عطاء بن عبيد يعود إلى محمد بن علي بن الحنفية وأبنه أبي هاشم وكان محمد هو مربي واصلا ، وعلمه حتى تخرج كما كان زيد بن علي الذي تنسب إليه الزيدية تلميذا لواصل بن عطاء فاقتبس زيد عنه الاعتزال وصار أصحاب زيد كلهم معتزلة، ويلاحظ أن موقف المعتزلة من العباسيين كان متوافقا مع موقف الشيعة حيث رفض المعتزلة التعاون مع العباسيين كما حدث مع عمرو بن عبيد الذي رفض تولي ولاية للخليفة المنصور وكذلك الإمام أبو حنيفة النعمان ، الذي رفض تولي منصب قاضي القضاة للخليفة المنصور، نظرا لكونه يميل إلى الزيدية، وقام بمبايعة محمد ذو النفس ألزكية الذي ثار على الخليفة المنصور، ولقد نمت علاقة المعتزلة مع الزيدية حتى ورث الشيعة المعتزلة سياسيا وفقهيا، حتى أنه لاحقا عرف عضد الدولة البويهي، وهو شيعي زيدي بعمله بمذهب المعتزلة.

الحنابلة وتصديهم لدعوة المأمون بالاعتزال : لقد ثارت حفيظة الإمام أحمد بن حنبل مع لفيف من علماء السنة على قرار الخليفة المأمون بتبني الاعتزال وعارض معهم الدعوة إلى القول بخلق القرآن ألكريم فتعرض نتيجة لذلك إلى الكثير من التعذيب والاضطهاد فحبس لثلاثين شهرا، وأخضع لمحاكمة تعرض فيها لجميع أشكال التعذيب وأستمر الحال في عهد الخليفة المعتصم الذي سار على نهج سلفه ألمأمون فنوظر امامه في بغداد وضرب وعذب أثناء محاكمته ، دون أن يقبل بمقالة ألخليفة وأضطر الخليفة المعتصم في النهاية لإطلاق سراحه تحت ضغط العامة، الذين هددوا بالثورة عند أبواب قصر المعتصم في بغداد، ويمكن القول أن الحنابلة خلال هذه المرحلة التي سبقت العصر العباسي الثاني كانوا مدافعين عن السنة ضد الخلفاء العباسيين الذين دانوا بالإعتزال وقتها، وذلك عن طريق المعارضة السلمية التي لم يفصلها عن مبدأ طاعة ولي الأمر الذي فرضه الدين، وقد لقيت

حركة الحنابلة التأييد من العامة، و شكل أحمد بن حنبل زعامة دينية داخل بغداد، فكثر انصاره، حتى سيطروا على المدينة لفترة طويلة، وعندما توفاه الله في سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) بلغ عدد من شهد جنازته عشرات الألاف[٥]. لقد واصل الخليفة المعتصم سياسة أخيه المأمون في المحنة، حتى أنه أمر ألا يفادى إلا الأسير الذي يقول بخلق القرآن الكريم، كما عزل القضاة الذين لا يقولون بخلق القرآن الكريم، ولا يعني ذلك أن العامة لم تكن لهم ردات فعلهم تجاه مواقف السلطة ورجالها، ففي سنة (٢٢٧هـ/ ٨٤٢م) هاجم العامة رجلين من الجهمية[٦] في جامع الرصافة، كما قام العامة بإحراق دار قاضي يقول بخلق القرآن الكريم.أما في عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧هـ/٨٤١م)-(٢٣٢هـ/٨٤٦م) فقد شهد إستمرار سياسة أبيه المعتصم، وإن تراجع أواخر أيامه، على أنه في البداية أمر بإمتحان الأئمة والمؤذنين، وحاول أحمد بن نصر الخزاعي تدبير ثورة ضده في سنة (٢٣١هـ/٨٤٦م) بعد أن قصده منكرو القول بخلق القرآن الكريم، على أن محاولته كشفت قبلها بليله فقام بشن حملة ضد أصحاب الحديث من الحنابلة، وزجهم في السجن، ومنع عنهم صدقة المساجين، ومنع عنهم الزيارات، وقيدهم بالحديد، كما تولى قتل أحمد بن نصر بنفسه، ويبدو أن الخليفة الواثق قد بدأ يتعرض للضغوط من قبل رجاله من الأتراك السنة الذين زاد عددهم في ذلك الوقت، وأشتدت سطوتهم، فبدأ بالتراخي في أواخر عهده، والذي كانت نهايته بداية للعصر العباسي الثاني.

<u>الأوضاع المذهبية في بداية العصر العباسي الثاني:</u> الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني، والتي تبدأ بوفاة الخليفة الواثق بالله، وتولي الخليفة المتوكل على الله في سنة (٢٣٢هـ/٨٤٧م) وحتى دخول البويهيين بغداد سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م)، وهي ما تعرف بعصر هيمنة القادة الأتراك، الذين كان لهم الدور الأكبر في إختيار الخليفة المتوكل للخلافة، نظرا لأن الواثق لم يكن قد إختار وليا لعهده، فقد وجد الخليفة المتوكل نفسه أسيرا للسيطرة التركية، ولذلك أضطر للتقرب من العامة على أمل التخلص من سطوة الأتراك عليه، فقام بإبطال القول بخلق القرآن الكريم، وأظهر السنة، ونهى عن الجدال في القرآن الكريم، ورفع المحنة، وأمر المحدثين بالجلوس للناس، فخرج المحدثون على رأسهم إبن حنبل الذي كان قد منع من الحديث سابقا[٧]، فكان ذلك إنتصارا للحنابلة الذين زاد نفوذهم من بعدها، فلم يفوتوا فرصة للتعبير عن مواقفهم وقوتهم، فمارسوا رقابة فكرية صارمة ضد مخالفيهم في الرآي، كما فعلوا عندما قاطعوا جنازة الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد، الذي لم يصل عليه سوى أربعة أنفار بسبب مقاطعة إبن حنبل له لأجل الكلام[٨]، كما منع الحنابلة تشييع جثمان محمد بن جرير الطبري، صاحب كتاب تاريخ الأمم الملوك، في سنة (٣١٠هـ/٩٢٣م)[٩].من جانب أخر يلاحظ تعصب الخليفة المتوكل للسنة، حتى أعتبر عهده عاصفا على العلويين والشيعة، خاصة مع قيامه سنة (٢٣٦هـ/٨٧٦م) بهدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنه، وهدم ما حوله من دور، وعمل مزارع مكانه، حتى أنه منع الناس من زيارته، وعاقب من يزور المكان ثلاث مرات بالسجن، وكان معروفا عن الخليفة المتوكل كرهه للإمام علي بن أبي طالب،حتى أنه سأل مرة معلم أبناءه عمن أحب إليه أبناءه أم الحسن والحسين، فأجابه أن قنبر مولى علي خير من أبنائه، فأمر المتوكل الأتراك بالدوس على بطنه حتى ماتوتظهر الحادثة من أمر المتوكل للأتراك بالذات بقتله أنهم أي الأتراك كانوا يوافقونه ويشجعونه فيما يقوم به ضد العلويين والشيعة ومن يتعاطف معهم، كذلك ماحدث في سنة (٢٤١هـ/٨٥٦م) عندما أمر المتوكل بمعاقبة رجل من أعيان بغداد بالجلد ألف جلدة، حتى مات، وذلك عندما شهد عليه سبعة عشر شخصا عن سبه لأبي بكر، وعمر، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم، وأمر المتوكل بإلقاء جثة الرجل بعد موته في النهر دون أن يصلى عليه[١٠]، هذا العقاب القاسي جدا الذي لقيه

هذا الرجل يبدو بإيعاز من الأتراك، الذين عرفوا بقسوتهم الشديدة في العقاب.

الإختلاف المذهبي بين الأتراك والفرس: يبدو واضحا تأثير الأتراك على الخليفة المتوكل في إضطهاده للشيعة، فقد عرف عنهم كرههم للشيعة والتشيع، وكان لهم الدور الكبير في إلغاء سلطان المعتزلة، ومنع القول بخلق القرآن الكريم، والجدال في الكلام، وإظهار الميل إلى المذاهب الدينية، حيث يؤكد ان الأتراك في جميع عصورهم قل أن ترى منهم من إعتنق مذهبا غير مذهب أهل السنة، وفي الفروع غير مذهب أبي حنيفة، أو أن يكون بين علمائهم خصومات مذهبية مثل الموجودة بين الخوارج، او الشيعة، أو المرجئة أو المعتزلة، بل كانوا مذهبا واحدا يسيطر، وفي الغالب يتوارث أما الفرس فقد أكد أحمد أمين أن مذاهبهم الدينية القديمة كانت كثيرة ومتنوعة، مثل المانوية، أو الزرادشتية، أو المزدكية وغيرها، ولاشك أن ذلك ترك تأثيره عليهم في الإسلام، فكثرت مذاهبهم من زيدية، وإثنا عشرية، وسبعية وغيرها، وفيه التزندق أحيانا، والتفلسف أحيانا أخرى، والمذاهب المختلفة التي ظهر أثرها في العراق أيام سطوتهم ولا شك أن ما قام به الخليفة المتوكل تجاه الشيعة قد سبب الكثير من المؤامرات، والدسائس ، والفتن من قبلهم للخروج على الدولة العباسية في بغداد، وإقامة حكومات شيعية مستقلة، كما حدث مع الزيديين في بلاد الديلم[١١]. ويلاحظ أن الخليفة المتوكل قد قتل بيد رجاله الأتراك في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) بمباركة ولي عهده المنتصر بالله، والذي كان على العكس من والده محبا للعلويين، بدليل قيامه بالإحسان إليهم عندما تولى الخلافة، فأزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف والمحنة، وسمح لهم بزيارة قبر الحسين رضي الله عنه، ورد إلى آل الحسين فدك ويبدو أن المنتصر كان يحاول الحصول على تعاطف العامة معه من أجل التخلص من سطوة الأتراك في ذلك الوقت، على أن عهده لم يطل، فمات بعد أشهر معدودة من حكمه في سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)، وقيل أن الأتراك قد أوعزوا لطبيبه أن يفصده بريشة سامة[١٢]

دور الحنابلة في تلك المرحلة : لا شك أن الحنابلة في الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني كانوا يهدفون لحماية السنة والخلافة ضد المعتزلة والسيطرة التركية على الخليفة، وكان البربهاري يقود حركات الحنابلة في القرن الرابع الهجري، من أجل حماية الخلافة، وتأييد السلطة، إلا فيما كان مخالفا للقرآن، ولم يقبل البربهاري[١٣] الصراع المسلح، داعيا لخلافة القرشيين، وطالبا من المؤمنين مساندة الخليفة، وهكذا أعتبر البربهاري بمثابة المصلح الإجتماعي الذي لقي مساندة العامة، وقاد انتفاضات إجتماعية في بغداد، وهذا يظهر أن الحنابلة لم يظهروا في البداية كمذهب فقهي سني، بل كانوا تيارا شعبيا له أهداف سياسية، ولم تبرز فيه المظاهر المذهبية إلا لاحقا عبر أسئلة وجهت للإمام أحمد بن حنبل، وأجاب عليها، ولذلك يلاحظ أن البعض يشبه التيار الشيعي بالحنبلي من ناحية أن كليهما كانا تيارا سياسيا معارضا أكثر من كونهما موقفا فقهيا في ذلك الوقت

الأوضاع المذهبية في عهد الخليفة المعتضد : على الرغم من إعتبار المؤرخين لفترة الخليفة المعتضد(٢٧٩هـ/٨٩٢م)-(٢٨٩هـ/٩٠٣م) أنها فترة سكون الفتن، والهرج، والحروب، ولكنها في المقابل شهدت نمو الحركات السرية، وإنتشار المذاهب بين البغداديين، وبالتالي نشوء العصبية المذهبية، فشهد عصره أبرز نشاط قام به الزيديون في بغداد، والمتمثل في الحركة التي قام بها محمد بن الحسن بن سهل، والملقب بشيلمة، والذي كان يعمل مع العلويين المستأمنين في بغداد من عسكر علي بن محمد، وأخذت له أوراقا فيه أسماء رجال قد أخذوا البيعة لرجل من آل أبي طالب، وكانوا قد عزموا الظهور في بغداد في يوم معين، وكان من بين مبايعيه جماعة من الهاشميين، والقضاة، والقادة، ورجال الجيش، والعامة،

وأهل العصبية، لكن الخليفة المعتضد قبض عليه في سنة (٢٨٠ه/٨٩٣م)، و قام بقتله وصلبه[١٤].وقد زاد نشاط العامة الديني في عهد المعتضد، بدليل ما حدث عندما عمل على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر في سنة (٢٨٤ه/٨٩٧م)، برغم تحذير وزيره من ذلك خوفا من الفتن التي سيسببها ذلك من العامة، خاصة وأن العلويين في كل ناحية قد خرجوا عليه، وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت، كانوا إليهم أميل، فأمسك المعتضد عن ذلك، كما قام المعتضد بعدها بمنع أهل الحلقات، والفتيان، والقصاصين من القاعدين في المسجدين، كما تقدم من العامة بلزوم أعمالهم، وترك الإجتماع والعصبية، كما منع القصاص عن الجلوس في الطرقات، وحرم المناظرة والجدل.

الأوضاع المذهبية في عهد الخليفة المقتدر: يلاحظ في عهد الخليفة المقتدر أن أمر الحنابلة قد قوى، بدليل ما حدث خلال المحاولة الإنقلابية ضد المقتدر، والتي قام بها عبد الله بن المعتز، عندما خرج الأخير في أسواق بغداد، وكان معه غلام ينادي قائلا : (يا معشر العامة، إدعو لخليفتكم السني البربهاري) ، فقد كان عبد الله بن المعتز يتأمل مساندة الحنابلة له في إنقلابه الفاشل، وهذا يظهر مقدار قوتهم وتأثيرهم في ذلك الوقت.أما من جانب علاقة المقتدر مع الشيعة، فيلاحظ هنا دور هيمنة الأتراك على المقتدر، من جانب تنكيله بالشيعة، وكونهم يبغضون الشيعة ويكيدون عليهم، فقاموا بإعلامه أن أناسا من الشيعة يجتمعون في مسجد براثا، الذي كان يعتبر المركز الرئيسي للشيعة في بغداد، ويقومون بشتم الصحابة فيه، فقام الخليفة المقتدر بتوجيه قائد شرطته إلى المسجد في سنة (٣١٣ه /٩٢٥م)، حيث ذكر للخليفة المقتدر أنه وجد في المسجد ثلاثين مصلي يصلون ويعلنون البراءة ممن يأتم بالمقتدر، فقام بالقبض عليهم وحبسهم، وأفتت جماعة من الفقهاء بهدم مسجد براثا، وتحويله إلى مقبرة، وإحراق بقيته[١٥] ، وهكذا خسر الشيعة أحد مراكزهم الهامة في بغداد لبعض الوقت.أما بالنسبة للحنابلة في عهد الخليفة المقتدر، فقد أثاروا فتنة فقهية كبرى في (٣١٧ه/٩٢٩م) مع غيرهم حول تفسير الأية الكريمة (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[١٦] ، حيث قال الحنابلة أنها تعني أن يقعده الله على عرشه، في حين قال غيرهم أنها الشفاعة، فدام الخصام طويلا، وأقتتلت جماعات كثيرة، فقد عرف عن الحنابلة تشددهم وخلافاتهم مع أصحاب المذاهب المختلفة

أوضاع الحنابلة والشيعة منذ عهد القاهر وحتى مجيء البويهيين: خلال هذه الفترة كان للحنابلة الدور في إثارة العامة ضد رجالات الدولة، وبخاصة الأتراك، كما حدث (٣٢١ه /٩٣٣م) عندما عمل حاجب القاهر التركي يلبق على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر في جوامع بغداد، فقامت ثورة في المدينة بتحريض الحنابلة، وحاول يلبق بعدها القبض على زعيم الحنابلة البربهاري الذي هرب وأستتر[١٧] ، وكذلك في عهد الخليفة الراضي سنة (٣٢٣ه /٩٣٥م)، قام الحنابلة بتشكيل ما يشبه جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاليا، عندما قاموا بالكبس على دور القادة والعامة، وخرجوا يريقون الأنبذة، ويضربون المغنيات، ويكسرون ألات الطرب، ويعترضون في البيع والشراء، كما منعوا مشي الرجال مع النساء والصبيان، وشهدوا على الناس بالفاحشة، وإستعانوا بعميان المساجد ضد الشافعية، كما وقع حريق في الأسواق، وأتهم به الحنابلة، فظهر الحنابلة أمام السلطة بمظهر الخطر على الدولة، فكان ذلك إيذانا بفساد العلاقة فيما بينهما.وقام الخليفة الراضي مع زيادة خطر الحنابلة بالمناداة في جانبي بغداد بأصحاب البربهاري، ويقصد بهم الحنابلة، بألا يجتمع منهم نفسان في موضع واحد، كما قام بالقبض على جماعة منهم، مما أجبر البربهاري على الإستتار، كما أخرج الخليفة الراضي منشورا إتهم فيه الحنابلة بالنفاق، وأخذ عليهم معاداتهم لأهل بيت النبوة، ويقصد بهم هنا العلويين، وإنكارهم زيارة قبور الأئمة مع تناديهم لزيارة قبر أحمد بن حنبل، فقد ساءت العلاقة بين الحنابلة والخلافة،

خاصة مع زيادة أمرهم في تلك الأيام، ونهبهم الدكاكين في باب الشام، وعوثهم في مربعة شبيب، مما أنكره السلطان عليهم' وطلب قادتهم الذين تواروا عن الأنظار، ومع زيادة أمر الحنابلة في سنة (٣٢٦ه/٩٣٨م) كتب أمير الأمراء إبن رائق التركي إلى زعيمهم البربهاري يحذره وينذره، فأظهر البربهاري تعهده بعدم العودة إلى الإضطرابات[١٨]. وكان الحنابلة يتعرضون للذين يرغبون بزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، كما حدث في (٣٢٧ه/٩٣٩م) عندما خرجت جماعة من أهل بغداد لزيارة قبر الحسين في الحائر، فنال منهم الحنابلة، ووقعت فتنة بين أهل سوق الضرابين والنحاسين والحنابلة.في المقابل كان العلويون قد كسبوا تعاطف بعض كبار رجالات الدولة والإدارة في ذلك الوقت، وأجتذبوا القادة العسكريين الذين كانت لهم أمر القرار السياسي في الدولة، كما حدث مع أمير الأمراء بجكم التركي، والذي اظهر ميلا لعلوية بغداد، حتى أنه تقرب منهم بإعادته لبناء مسجد براثا، والذي كان يعتبر أحد أهم مراكز الشيعة في بغداد، والذي كان الخليفة المقتدر قد هدمه سابقا، كما قام بجكم أيضا بضم العلويين إلى اللجنة التي إختارت الخليفة المتقي بعد موت الخليفة الراضي في سنة (٣٢٩ه/٩٤١م) ، ولذلك يلاحظ إبتهاج الحنابلة عندما وصلتهم أنباء مقتل بجكم في سنة (٣٢٩ه/٩٤١م)، حتى أنهم حاولوا هدم مسجد براثا من جديد، كما حاولوا إثارة الوقيعة بين الضرابين وأهل درب عون، مما حدا بالخليفة المتقي لمعاقبة قوما منهم بالضرب، والمناداة عليهم، ولم يقف حد التعاطف مع العلويين على القادة العسكريين بل تعداه إلى الأمراء العباسيين الذين ظهر عليهم أنفسهم التشيع، خاصة طلاب الخلافة منهم، فقد حدثت مؤامرة في سنة (٣٢٩ه/٩٤١م) تزعمها علوي لخلع المتقي، وتنصيب عبد الله بن الراضي، ومؤامرة أخرى في سنة (٣٣٣ه/٩٤٥م) لمبايعة عبد الله بن المكتفي، والذي قيل أنه كان شيعي المذهب[١٩] ، فيمكن القول أنه مع إقتراب نهاية فترة تحكم القادة الأتراك بالدولة العباسية، ودخول البويهيين الفرس إلى بغداد أن الشيعة قد بدأوا بالعمل العلني من بعد أن ظل عملهم سريا طوال الفترة الماضية.

بداية العمل العلني للشيعة : لا شك أن المشاكل التي سببها أهل السنة، وبخاصة الحنابلة، للخلافة العباسية قد ساهم في تقرب السلطة العباسية من أهل الشيعة، وبالتالي نتج عن ذلك الكثير من الإضطرابات المذهبية الدامية بين السنة والشيعة في بغداد، فتحول أهل السنة بالتالي من مجابهة السلطة إلى الصدام مع الشيعة، وبخاصة الحنابلة الذين كانت لهم مواجهات ضد العمل العلني الشيعي، فمن جانب قام الحنابلة ببناء مسجد ضرار ليكون بمواجهة مسجد براثا، على أن الوزير علي بن عيسى أمر بهدمه[٢٠] ، كما قام الحنابلة من جانب آخر بمنع الشيعة من النوح على الحسين رضي الله عنه، ولم يكن النوح وقتها إلا مراثي الحسين وآل البيت، فقاموا بتتبع النواحين، والمطالبة بهم بأمر قائدهم البربهاري، كما منع الحنابلة الشيعة من زيارة قبر الحسين رضي الله عنه في كربلاء. ويلاحظ أن العمل العلني الشيعي قد كثر في سنة (٣٣١ه/٩٤٣م)، مما دعا السلطة لإعلان براءة ذمتها ممن ذكر أحد من الصحابة بسوء، وقام الخليفة المتقي بالقبض على إبن عبد المطلب بتهمة ترؤوس الروافض، وأمر بقتله[٢١] ، ويظهر ما حدث أن السلطة قد ضاقت ذرعا بالعمل العلني الشيعي، وحاولت أن تضع حدا له، لكن ذلك كان متأخرا جدا، فمن جانب ضعفت سلطة الخلافة، ومن جانب آخر تنامت الكثير من القوى الشيعية من حول الدولة العباسية، خاصة البويهيين.

بداية حكم البويهيين وتشجيعهم العلويين والشيعة: مع دخول البويهيين الفرس بغداد في سنة (٣٣٤ه/ ٩٤٦م) يلاحظ أن حركات الحنابلة قد أوقعت، في حين بدأت مذاهب العلويين

تنشط تحت رعاية البويهيين، الذين كانوا من الشيعة الزيدية، فقد كان أمير البويهيين في بغداد معز الدولة بن بويه يرى العباسيين أنهم مغتصبين للخلافة، وأن الخلفاء الأصليين هم العلويين، حتى أنه أراد إصلاح هذا الوضع، فأستشار جماعة من خواصه في إخراج الخلافة من العباسيين، ومبايعة المعز لدين الله العلوي، أو غيره من العلويين، على أن بعض خواصه قالوا له أن هذا ليس برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه، لكن متى أجلست بعض العلويين خليفة، كان معك من يعتقد أنت وأصحابك بصحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه، ولعلهم هنا تذكروا ما حدث لأبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين مع عبيد الله المهدي[٢٢] ، فأعرض معز الدولة عن ذلك، ويجب هنا عدم إغفال أسباب أخرى لم تمكن البويهيين من إزالة الإدعاء الشرعي بالخلافة للعباسيين، فمن جانب لم ينس البويهيون أن الغالبية العظمى من سكان بغداد كانت من السنة، إضافة لوجود أعداد كبيرة من الأتراك السنة في جيش معز الدولة، والذين خشي معز الدولة ثورتهم عليه لو أقدم على ذلك، وأيضا يجب عدم نسيان أن لقب الخلافة على الرغم من فقدانه للكثير من صلاحياته السابقة، ولكنه لا يزال يحمل الشعور الديني القوي[٢٣]. كذلك أمر معز الدولة بن بويه بفصل العلويين عن سلطة نقيب العباسيين، والذي كان يعتبر رئيسا للنقباء الهاشميين، ووضعهم تحت سلطة نقيب منهم، وكان أخر نقيب هاشمي هو محمد بن أحمد الهاشمي، الذي خلف والده في النقابة منذ سن (٣٠١هـ/٩١٣م)[٢٤]، وبالفعل تم إختيار أبا الحسين أحمد بن على الكوكبي، الذي يرجع نسبه إلى الإمام زين العابدين بن الحسين، كأول نقيب للعلويين، على أن النقيب الذي تلاه في سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م)، وهو أبو عبد الله بن محمد الشهير بإبن الداعي، كان من الشخصيات المحترمة جدا عند الطائفة الشيعية، حتى أن العلويين قد ضغطوا كثيرا على معز الدولة بن بويه من أجل تعيينه كنقيب للعلويين، ولقد إشترط هذا النقيب عدم قبوله أي خلعة من الخليفة العباسي، لأن لونها سيكون أسود، وهو لون العباسيين، كما لم يحضر هذا النقيب مجلس الخليفة في أي مناسبة، كي لا يجبر على إرتداء الخلعة السوداء، أو يقبل الأرض بين يدي الخليفة، كما جرت العادة في بلاط الخليفة، ولذلك يلاحظ إستقلالية منصب نقيب العلويين بالكامل عن الخلافة العباسية في ذلك الوقت، ويلاحظ محاولات البويهيين لتمييز الشيعة عن السنة حتى في البريد، فقد عرف عن معز الدولة إتخاذه للسعاة، وكان أشهرهم فضل ساعي السنة، ومرعوش ساعي الشيعة[٢٥].ويلاحظ في تلك الفترة تأييد البويهيين الصريح للشيعة، فقد ذكرت المصادر أن الخليفة المستكفي قد عزل عن منصبه في بدايات هيمنة البويهيين على بغداد، وكان سبب عزله قيامه بالقبض على رجل يعرف بالشافعي، وكان رئيس الشيعة، ولم يقبل شفاعة أصفهدوست، أحد قادة معز الدولة بن بويه، فكان ذلك من أسباب عزله[٢٦] ، كما ظهر بعض الغلاة ممن إدعوا اللأوهية، ولكنهم لم يلاحقوا بسبب الخوف من الشيعة، الذين كان لهم فيها بعض المؤيدين[٢٧]. وفي سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) كتبت العامة على مساجد بغداد لعن معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة فدكا، ولعن من أخرج العباس من الشورى، ولعن من نفى أبا ذر، ولم يمنع معز الدولة ذلك، بل إنه عندما علم أن العامة من السنة قد محوا هذا المكتوب أراد أن تعاد كتابته، مما قد يعني أن ما حدث كان بإيعاز منه، على أن وزيره المهلبي نصحه بكتابة لعن الظالمين لأل الرسول صلى الله عليه وسلم، والتصريح بلعن معاوية فقط[٢٨] ، وبدا معز الدولة أنه قد أجاز لعن الصحابة، مع ما سيسببه ذلك من فتن طائفية كبرى.وفي عاشوراء من سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) أمر معز الدولة بن بويه بإقامة مأتم الحسين بن علي رضي الله عنهما، وألزم الناس في بغداد بإغلاق أسواقهم، فتعطل البيع، ولم يذبح القصابون، ولم يطبخ الهراسون، ولم يترك الناس يستقون الماء، ونصبت القباب في الأسواق، وعلقت عليها المسوح، وخرجت النسوة منتشرات

الشعور، ويلطمن في الشوارع، ويقمن المأتم على الحسين، فكان هذا أول يوم يناح فيه على الحسين في بغداد، كما أمر معز الدولة في الثاني عشر من ذي الحجة من نفس السنة بالإحتفال بيوم الغدير، وهي مناسبة شيعية أخرى، قام فيها الشيعة بإشعال النيران في ذلك اليوم، وضربت الدبادب والأبواق، وبكر الناس إلى مقابر قريش، وأستمرت إحتفالات الشيعة بهذه المناسبتين سنويا، على الرغم مما سببته من مشاكل وفتن طائفية لاحقا بين السنة والشيعة كما سيظهر في الأحداث. و يتضح مما فات ذكره كانت بعض الجوانب التي شجع فيها البويهيون الشيعة في بغداد، وعلى الرغم أن بعض المؤرخين يرون أن ما قام به معز الدولة بن بويه كان مجرد محاولة منه للظهور بمظهر الحاكم المتسامح في العقيدة، والمترفع عن المذاهب، لكن حتى وإن كان هذا مقصده الأصلي، ولكن ما قام به كان له الدور في إذكاء الصراع العنصري الذي إحتدم خلال الفترات اللاحقة من العصر البويهي في بغداد، حتى أن الخليفة المطيع بدأ يتقرب من الحنابلة كي يساعدوه في الوقوف بوجه البويهيين، و إجتمع له من الحنابلة حوالي ثلاثين ألف رجل، وبدت بغداد على أبواب الإنفجار الطائفي بعد أن بات كبار العباسيين والعلويين زعماء للفريقين، بمساندة الفرس للشيعة، والأتراك للسنة.

الصراعات المذهبية في عهد معز الدولة بن بويه: لم يطل الأمر حتى نشبت أول الفتن الطائفية في العصر البويهي في سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م)، والتي أدت إلى نهب الكرخ، حيث يكثر الشيعة، وعادت الفتنة بشكل أكبر في سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م)، كما هاج العامة في الكرخ في سنة (٣٤٦هـ/٩٥٨م) ، وإستمر هياجهم حتى العام التالي، حيث إتصلت الفتن الطائفية، وتكررت في سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م)، حيث تعطلت بسببها صلوات الجمعة في جميع جوامع بغداد باستثناء جامع براثا، كما تم إعتقال جماعة من الهاشميين بتهمة التسبب في الفتنة[٢٩]وفي السنة التالية (٣٥٠هـ/٩٦١م) قامت معركة للعيارين الذين بدأوا يتدخلون في المشاكل الطائفية، وكان أساس المشكلة رجلين أحدهما عباسي والأخر علوي كانا يشربان النبيذ، فحدثت بينهما مشكلة أسفر عنها مقتل العلوي، فثار أهله به مستغيثين بالعامة، فاشتعلت الفتنة، مما دعا السلطات للتدخل، وألزمت إقامة الجند الديلم في الأرباع، ونتيجة لذلك أثار العباسيون موجة من الفوضى، ومنعوا إقامة صلاة الجمعة، وظلت الفتنة مستعرة دون أن تسكن، حتى تدخل الوزير المهلبي، فقام بالقبض على أكثر بني العباس، ووجوههم المستورين، والعيارين منهم، وقبض في جملتهم على قضاة وشهود[٣٠] ، وأدى إجراءه إلى كثرة كلام القصاص في الجوامع، ورؤساء الصوفية، فخشي المهلبي من تجدد الفتنة، فبادر بالقبض على هؤلاء القصاص والصوفية قبل أن يثيروا العامة على الدولة، وأحضر جماعة من القضاة، والفقهاء، والشهود لمناظرتهم، وأحضر الشرطة لحماية هؤلاء المناظرين من أنصار القصاص والصوفية و أما في سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م) فقد وقعت فتنة عظيمة خلال الإحتفال بيوم عاشوراء في قطيعة أم جعفر وطريق مقابر قريش بين السنة والشيعة، فنهب بعضهم بعضا، وجرح عدد منهم[٣١] ، فكانت هذه بداية الفتن والمشاكل التي صاحبت هذه الإحتفالات الشيعية التي أقرها معز الدولة بن بويه، والتي دعت المسؤلين في مرات عديدة لاحقا إلى إيقاف الإحتفال بها كما سيظهر.

الصراع المذهبي في عهد عز الدولة بختيار : لم يتغير الوضع كثيرا مع تولي عز الدولة بختيار مكان أبيه في سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م)، خاصة مع إنشغاله بملذاته من ترف، ولعب، وسكر دائم عن أمور الدولة[٣٢] ، ومن بين ما أنشغل عنه كان المشاكل المذهبية بين السنة والشيعة، ففي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) قتل رجل من العامة صاحب المعونة في الكرخ، فقام

الوزير أبو الفضل الشيرازي بإرسال أحد معاوني الشرطة، وكان مبغضا للشيعة، فأستغل إنشغال الشيعة بإحتفالهم، وقام بطرح النار في المنطقة ما بين النخاسين وحتى السماكين، وقد فعل ما فعله إنتقاما لمقتل صاحب المعونة، فأحترقت أموال عظيمة، إضافة لجماعة من الرجال، والنساء، والصبيان في الدور، والحمامات وغيرها، فأحصي ما أحترق، فكان سبعة عشر ألف دكان، وثلاثمائة وعشرين دارا، إضافة إلى ثلاثة وثلاثين مسجدا، وقد سبب ذلك ردة فعل قوية ضد أبا الفضل الشيرازي، الذي عزل عن منصبه، وسلم إلى نقيب العلويين[٣٣].ولم يلبث الأتراك أن دخلوا في الصراع الطائفي السني الشيعي بشكل علني هذه المرة، ففي سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) حدث نزاع بين عز الدولة بختيار وقائد جيشه التركي سبكتكين، فإنضم الجند الديلم إلى عز الدولة بختيار، وإنضم الجند الأتراك إلى سبكتكين، وأدى هذا النزاع إلى إنقسام العامة في بغداد إلى سنة وشيعة، وأقنع سبكتكين العامة السنة أنه ينصر جانبهم، على الرغم من تأكيد إبن كثير أن سبكتكين كان شيعيا، وإن كان هذا صحيحا، فيبدو أن سبكتكين قد إدعى أنه سني حتى يكسب تأييد الأتراك الذين كانوا في الغالب من السنة، وتأييد العامة السنة، والذين شكلوا غالبية العامة في بغداد.و انضم العامة السنة إلى سبكتكين، وناصبوا العامة الشيعة الحرب، وتحزب الفريقان، ونظرا لقلة الشيعة نسبيا، فقد تحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي، وأتصلت الحروب حتى سفكت الدماء، وأستبيحت المحارم، وأحرق الكرخ حريقا ثانيا، وأنتثر النظام، وأنخزل السلطان، وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدنيا والدين، خاصة أن الشيعة ثاروا بشعار بختيار والديلم ، في حين أن السنة ثاروا بشعار سبكتكين والأتراك، ولم تكن المواجهة بسيطة هذه المرة، فقد هددت الفتنة وجود البويهيين أنفسهم في العراق، لولا تدخل عضد الدولة، الذي لم يلبث أن عزل بختيار لاحقا، وضم العراق الى ملكه.

محاولات عضد الدولة البويهي إنهاء الصراع المذهبي: دخل عضد الدولة البويهي بغداد في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م)، بعد عزله لإبن عمه بختيار، ووجدها وقد هلك أهلها قتلا، وحرقا، وجوعا بسبب الفتن التي إتصلت فيها بين السنة والشيعة، وهنا قال : (آفة هؤلاء القصاص، يغرون بعضهم ببعض، ويحرضونهم على سفك دمائهم، وأخذ أموالهم)، فأمر عضد الدولة بالمناداة في الأسواق بأن لا يقص أحد، لا في جامع أو في طريق، ولا يتوسل متوسل بأحد من صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن أحب التوسل فليقرأ القرآن، ومن خالف هذه الأوامر فقد أبيح دمه[٣٤] ، ونظرا لحزم عضد الدولة في تطبيق القانون والنظام، فقد ساهمت أوامره في إيقاف الفتن الطائفية، إضافة لما قام به من إصلاحات وتجديد في عمارة بغداد، وإجراءه الأرزاق على الفقهاء والمحدثين، وإرساله الصدقات والصلات للمجاورين بالحرمين وغيرها[٣٥] ، مما أصلح أحوال الدولة خلال عهده الذي لم يطل مع الأسف، فتوفى في سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م).

عودة الفتن الطائفية في عهد بهاء الدولة: مرت الدولة العباسية بحالة من عدم الإستقرار السياسي بعد موت عضد الدولة البويهي، وذلك لنشوب الصراعات بين ورثته صمصام الدولة وشرف الدولة بعد وفاته، حتى إستقرار الأمر لشرف الدولة في سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م)، على أن شرف الدولة لم يعمر اكثر من سنتين، وبعد وفاته في سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م) وتولي بهاء الدولة البويهي عادت الفتن الطائفية في سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، خاصة بعد أن سار بهاء الدولة من بغداد لمواجهة خصومه في الأهواز، فكثر القتل في بغداد بين السنة والشيعة، وأحرقت عدة محلات، ونهبت الأموال، وخربت المساكن، وإتصل القتال بين الكرخ وباب البصرة، وصار في كل حرب أمير، وفي كل محلة متقدم، وقتل الناس، وأخذت الأموال، وتواترت العملات، وأتصلت الكبسات، وأحرق بعضهم محال بعض، وحاول نقيب العلويين أبو أحمد الموسوي التوسط في الأمر، وأستمر هذا الحال لعدة أشهر حتى عودة بهاء الدولة

إلى بغداد، وأستمرت الفتنة حتى العام التالي (٣٨١هـ/٩٩١م)، حيث زالت هيبة السلطنة، وتكرر الحريق في المحال، وأستمر الفساد، حيث حدثت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة خلال إحتفالات الشيعة بيوم الغدير، فقام أهل باب البصرة بخرق أعلام السلطنة، فقتل يومها جماعة أتهمت بفعل ذلك، صلبوا على القنطرة. وفي سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م) حاول علي بن محمد الكوكبي المعروف بإبن المعلم إيقاف هذه الفتن الطائفية، فقام بمنع الشيعة في الكرخ وباب الطاق من النوح وتعليق المسوح في عاشوراء، ويبدو أنه قد أدرك دور هذه الإحتفالات في إشعال الفتن الطائفية بين السنة والشيعة، على أن إبن المعلم نتيجة تقصيره تجاه الجند الديلم الشيعة تعرض للثورة عليه من قبلهم، ووصلت الأمور بالجند الديلم أن هددوا بهاء الدولة بزوال دولته إن لم يسلم إليهم إبن المعلم، ولم يجد بهاء الدولة عندها مفر من تسليمه إليهم، فقام الجند الديلم بقتله خنقا عندما لم يمت بالسم[٣٦]

بداية ظهور المعارضة السنية النشطة في عهد بهاء الدولة: لقد ظهرت المعارضة السنية النشطة في وجه الإحتفالات الشيعية في عهد بهاء الدولة، والتي فرضها البويهيون في بغداد، وكانت تشكل إستفزازا لمشاعر السنة في بغداد، ولذلك قام السنة في سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) بإستحداث إحتفالين خاصين بهم ردا على إحتفالات الشيعة، فإدعوا أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان يوم الغار، ويقصدون به يوم لجوء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر إلى غار ثور خلال هجرتهما إلى المدينة المنورة، كما إبتدع السنة بإزاء عاشوراء من المحرم يوما بعده بثمانية أيام، نسبوه إلى يوم مقتل الصحابي مصعب بن الزبير، وقاموا خلال ذلك اليوم بزيارة قبره في مسكن كما يزار قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبدت لحظتها أن المشاكل المذهبية قد إستفحلت بصورة أقرب ما تكون إلى الإنفجار

الأتراك يسببون فتنة طائفية : تسبب الأتراك بفتنة طائفية في سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م) كان أساسها ماديا كالعادة، فقد ثار الأتراك في تلك السنة على نائب السلطان أبي نصر سابور بسبب أجورهم، فهرب منهم، ولجأ إلى درب الديزج، فبادر العلويون والعامة من الشيعة بحمايته، وتمكنوا من دفع الجنود الأتراك عن الدار، ورجموهم بالآجر، فإبتعد الأتراك، ولكنهم تمكنوا من ضم عامة السنة إليهم، وعاودوا الهجوم على الشيعة، فضعف الشيعة، وشكوا إلى نقيب العلويين الذي إعتذر لعدم قدرته على الأتراك، وبعد أيام من القتال، ذهب وجهاء وفقهاء العلويين إلى قادة الأتراك، وأعلنوا تبرؤهم من أبي نصر، وطلبوا من الأتراك إيقاف القتال، ولكن الفتنة لم تلبث أن زادت، وتسلط العيارون وأهل الذعارة، مما دعا قائد الشرطة للتدخل في الأمر، و قام بالقبض على جماعة من العلويين وقتلهم، كما كبس دورهم ومنازلهم، وإستعمل السطوة، وأقام الهيبة و زاد أمر الفتنة الطائفية في السنة التالية (٣٩٢هـ/١٠٠١م)، حيث زاد نشاط العيارين والفساد في بغداد، وكان بينهم العباسي والعلوي، فقاموا بالقتل والنهب، فأرسل بهاء الدولة إستاذ هرمز الملقب عميد الجيوش[٣٧]، والمعروف بقسوته الشديدة إلى بغداد، فقام عميد الجيوش بالقبض على متسببي الفتن، قارنا العباسي بالعلوي، وقام بإغراقهم في النهر، كما أغرق جماعة من حواشي الأتراك، ومن أجل منع هذه الفتن الطائفية من العودة مجددا أصدر أوامره بمنع كلا من السنة والشيعة من إظهار مذهبهم، ومنع النوح في عاشوراء، ومنع ما تنسبه السنة إلى مصعب بن الزبير[٣٨] ، ويلاحظ ما قام به عميد الجيوش مع الشيعة على الرغم من كونه شيعيا مثلهم، وهذا يظهر أن البويهيين قد أدركوا أخيرا خطورة الفتن الطائفية على الدولة، ولذلك صمموا على إيقافها حتى لو كان معنى ذلك التنكيل بالشيعة، ولقد تسببت هذه الفتن الطائفية في خراب بغداد،

وهجرة الكثير من أهلها منها[٣٩] ، على أن إجراءات عميد الجيوش الصارمة قد ساهمت في تسكين هذه الفتن الطائفية لبعض الوقت.

دور الفقهاء والوعاظ والشعراء في الفتن الطائفية: سكنت الفتن لست سنوات بعد إجراءات عميد الجيوش الصارمة، فأستمر منع الإحتفالات الشيعية والسنية، والذي ساهم إلى درجة كبيرة في تهدئة الفتن الطائفية بين السنة والشيعة، على أنه في (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) عادت الفتن مجددا بين أهل الكرخ والفقهاء في قطيعة الربيع، وقد حدث ذلك عندما قصد بعض الهاشميين من أهل باب البصرة السنة فقيه الشيعة أبا عبد الله محمد بن النعمان، الشهير بإبن المعلم[٤٠]، وتعرضوا له في مسجده بدرب رياح تعرضا إمتعض منه أصحابه، فثاروا مستنفرين أهل الكرخ، وردا على ذلك صاروا إلى دار قاضي القضاة أبي محمد بن الأكفاني[٤١]، وأبي حامد الأسفراييني[٤٢]، فسبوهما، وطلبوا الفقهاء ليواقعوا بهم، فنشأت من ذلك فتنة عظيمة، وأتفق أنه أحضر مصحفا ذكر أنه مصحف الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو يخالف بقية المصاحف، فجمع الأشراف، والفقهاء، والقضاة، وعرض المصحف عليهم، فأشار أبو حامد الأسفراييني والفقهاء بتحريق المصحف، فغضب الشيعة لذلك، وصاروا يدعون ليلة النصف من شهر شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، ووقع القتال بينهم وبين أهل باب البصرة، وباب الشعير، والقلائين، وتعرض أحداث الكرخ لدار الشيخ الأسفراييني، وصاحوا يا حاكم يا منصور، في إشارة إلى خليفة الفاطميين وقتها الحاكم بأمر الله، وهكذا أدخلوا السياسة في هذه المشكلة المذهبية، ووصل ما حدث للخليفة القادر الذي قام بإرسال رجاله لمعاونة أهل السنة، فتكاثر أهل السنة وضعف أهل الكرخ، وأحرق ما يلي نهر الدجاج، وأجتمع أشراف الشيعة وتجارهم، وأتفقوا على التوجه إلى الخليفة القادر ليسألوه العفو عما فعله السفهاء، وتظهر هذه الحادثة أن الخليفة القادر كانت لديه الجرأة والقدرة على مواجهة من يتطاول عليه، وعلى خلافته، وأن يفرض إحترامه عليه، وأضطر عميد الجيوش للعودة إلى بغداد نتيجة هذه الفتنة، فقام بالقبض على فقيه الشيعة إبن المعلم ونفيه، كما قبض أيضا على كل من كانت له يد في هذه الفتنة، فعاقب قوما منهم بالضرب، وحبس أخرين، كما أعطى أوامره بمنع القصاص من الجلوس، منعا للفتن، على أن البعض منهم طلب العفو منه، فسمح عميد الجيوش للقصاص بالجلوس شريطة أن يتركوا التعرض للفتن.ولعل الإجراءات التي قام بها عميد الجيوش تظهر بوضوح الدور الذي كان يقوم به الفقهاء، والوعاظ، والشعراء من الطائفتين السنية والشيعية في الصراع المذهبي، كما حدث خلال الصراع سابق الذكر، والذي أظهر دور كل من أنصار فقيه الشيعة إبن المعلم وأنصار فقهاء السنة إبن الأكفاني والإسفراييني في إشعال تلك الفتنة الطائفية ، كما كان للدعاة من كلا الطائفتين الدور الكبير على أنصارهم، وتحريضهم علانية في المساجد، والشوارع، والمجالس[٤٣] ، كذلك كان للشعراء الدور في الفتن الطائفية، فقد كان الشعراء من كلا الطائفتين ينظمون القصائد التي تسب وتشتم رموز الطائفة الثانية، وتعظم رموز طائفتها، حتى أن الشاعر أبو الحسن علي بن عيسى قد سمي شاعر اهل السنة، لأنه كان يمدح صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قصائده، ويعارض شعراء الشيعة[٤٤]

عودة الفتن الطائفية زمن سلطان الدولة: يلاحظ أن عميد الجيوش قد إستمر في منعه لإقامة الإحتفالات الشيعية حتى وفاته في سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)، وهذا يظهر إقتناعه بدورها في التسبب في هذه الفتن المذهبية الخطيرة، ولكن بعد وفاته قام خلفه في الوزارة فخر الملك بالسماح للشيعة بإقامة إحتفالاتهم في مأتم عاشوراء وعيد الغدير[٤٥] ، ويبدو أن فخر الملك كان يتأمل فيما قام به أن يكسب دعم العلويين والشيعة، خاصة أنه كان وزير البويهيين الشيعة وليس الخليفة العباسي السني، ولكن ذلك تسبب بعودة الفتن الطائفية في سنة

(٤٠٦هـ/١٠١٥م) ، وذلك عندما جاز أهل الكرخ بباب الشعير، فتولع بهم اهله فاقتتلوا، وتعدى القتال إلى القلائين، وأضطر فخر الملك لإنفاذ شريف العلويين وغيره إلى أهل الكرخ، وأنكر على أهل الكرخ ما يجري من سفهائهم، وإستقر الأمر في النهاية على كفهم، بشرط ألا يعلقوا مسوحا خلال عاشوراء، ولا يقيموا نوحا على الحسين ويبدو أن فخر الملك قد أدرك خطأه عندما سمح للشيعة بإعادة إقامة إحتفالاتهم، على أن محاولته لم تمنع حدوث فتنة جديدة في السنة التالية (٤٠٧هـ/١٠١٦م) في واسط هذه المرة، والتي تسببت بنهب وإحراق محال الشيعة والزيدية هناك، فهرب وجوه العلويين والشيعة لاجئين في بيت أحد الشخصيات.وقد ضاق الخليفة القادر ذرعا بهذه الفتن الطائفية، ولذلك قام في سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م) باستتابة المعتزلة والشيعة وغيرهم من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم، ناهيا عن الناظرة في أي شيء منها، ومهددا من يفعل ذلك بالتنكيل والعقاب وكانت الفتنة بين السنة والشيعة قد تفاقمت في تلك السنة، حتى أن أهل نهر القلائين السنة قاموا بعمل بابا على موضعهم، فقام أهل الكرخ الشيعة بدورهم بعمل باب على الدقاقين مما يليهم، وأدي ذلك إلى مقتل أناس على هذين البابين، عندها أراد قائد الشرطة دخول الكرخ للتحقيق فيما حدث، لكن أهل الكرخ والعيارين الذين فيها حاولوا منعه من الدخول، وأدى ذلك إلى إشتعال القتال بينه وبينهم، مما نتج عنه إحتراق الدكاكين، وأطراف نهر الدجاج، ولكن قائد الشرطة مع ذلك عجز عن الدخول إلى الكرخ.و عندما وصلت الأخبار إلى سلطان الدولة البويهي أمير البويهيين وقتها بالفتن التي كانت لا تزال قائمة في واسط قام بتولية إبن سهلان للعراق، لما عرف ما فيه من عسف وخرق، وكلفه بإصلاح الأوضاع هناك، وبالفعل توجه إبن سهلان إلى واسط، حيث قام بإصلاح الأوضاع فيها، خاصة بعد أن قتل جماعة فيها، وعندما وصلته الأخبار بإشتداد الفتن في بغداد سار إليها، فقام بإجبار العيارين على الهرب من بغداد، كما نفي جماعة من العباسيين وغيرهم، وقام أيضا بنفي إبن المعلم فقيه الشيعة، وهذا يظهر أن إجراءاته قد شملت الجميع، على أن إبن سهلان قام بإنزال الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة، ففعل هؤلاء من الفساد ما لم يشاهد مثله، وتسبب ذلك في ثورة الأتراك والعامة من السنة، ومطالبتهم بعزل إبن سهلان، وساهم لاحقا تمسك سلطان الدولة به في مبايعة الأتراك والعامة لمشرف الدولة على العراق في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م)[٤٦].

<u>الفتن الطائفية تتفاقم في عهد جلال الدولة :</u> لم يطل العمر بمشرف الدولة البويهي كحاكم للعراق، فمات في سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، ودب الخلاف حول من يتولى بعده ما بين أخيه جلال الدولة، وأبي كاليجار، ونظرا لأن الأتراك كانوا يفضلون أبا كاليجار نظرا لوفرة المال لديه بعكس جلال الدولة، ونظرا لإنشغال أبو كاليجار بصراعاته الداخلية مع عمه، فقد تعذر عليه القدوم حتى يبايعوه، ولذلك ظل الوضع معلقا و نتيجة لذلك ساءت الأمور في بغداد، وتفاقمت الفتن والصراعات، خاصة من قبل العيارين، الذين أدخلوا أنفسهم في الصراعات الطائفية، وكان ذلك طبيعيا نظرا أنه كان هناك عيارين من السنة ومن الشيعة، ولقد أدى ذلك إلى إصطباغ الكثير من مشكلاتهم التي سببوها بالصبغة المذهبية، ويلاحظ في ذلك الوقت أن الأتراك قد تفاهموا مع العيارين أن يسهلوا عليهم عملهم، ويسترون عليهم، في مقابل مقاسمتهم لأرباحهم مما ينهبونه، وتعرضت دار الشريف المرتضى شريف العلويين للحرق، ويبدو أن الأتراك كانوا وقتها يساندون العيارين السنة دون الشيعة، بدليل ما ذكره إبن الجوزي من عدم تعرض الأتراك للعيارين خلال كبسهم لدور الناس، وفي المقابل ذكر أيضا في نفس الحادثة عن قيام الأتراك بحرق طاق الحراني بسبب فتنة جرت

بينهم وبين العيارين والعامة، مما قد يعني أنهم وقتها تعرضوا لعيارين شيعة[٤٧] ، وأستمرت الفتنة حتى سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م).وقام بعدها الجنود الأصفهلارية بمراسلة العيارين على أمل إنهاء الفتنة، ولكن العيارين لم يستجيبوا لمراسلاتهم، مما دعا الجند الأصفهلارية إلى دخول الكرخ، وهو مقر الشيعة الرئيسي، ووقعت النار فيه، وأدى ذلك إلى إحتراق أجزائه من سوق الدقاقين وحتى سوق النحاسين، وبعض باب المساكين، وكافة الأبواب التي كانوا يتحصنون فيها، ونهب الكرخ، وأخذ الشيء الكثير من القطيعة ودرب رياح، وكان ما انتهبه العوام من غير أهل الكرخ، في إشارة للعامة السنة، أكثر مما نهبه الأتراك، ومضى الشريف المرتضى مستوحشا مما حدث إلى دار الخليفة، وقد نفطت المحال وأشيعت المصادرات، وقرر الأتراك على الكرخ غرامة قدرها مائة ألف دينار. لقد شعر القادة والعقلاء لحظتها أن سبب ما حدث كان عدم إختيار حاكم بويهي بعد موت مشرف الدولة، ولذلك قام هؤلاء بمراسلة جلال الدولة البويهي للحضور إلى بغداد كي يبايعوه، بعد أن لاحظوا عدم رد أبي كاليجار عليهم، فقد ظهر وقتها أن عدم الإستقرار السياسي كان مشجعا ومسببا للمشاكل المذهبية التي نشأت نتيجة مخالطة العيارين للمذهبين من جانب، وإستغلال الأتراك الفوضى الناجمة عن الفتن الطائفية من أجل السلب والنهب، ولم يؤد إختيار جلال الدولة البويهي إلى تهدئة الأمور، خاصة أن عهده قد عرف بعدم إستقراره، وكثرة الفتن والثورات فيه خاصة من جانب الأتراك، الذين كثيرا ما حاولوا عزله من منصبه وبالفعل تجددت الفتن المذهبية في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، وحدثت هذه المرة خلال خطبة الجمعة في مسجد براثا، وكان مسبب الفتنة هذه المرة خطيب المسجد، الذي ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في خطبته، ثم تحول إلى ذكر علي بن أبي طالب، واصفا إياه بمكلم الجماجم، ومحيي الأموات، ومكلم فتية أصحاب الكهف، وغيرها من المعجزات المشابهة لمعجزات المسيح عليه السلام، فلما وصل الخبر إلى الخليفة القادر أمر بإعتقال هذا الخطيب، وتعيين خطيبا آخر مكانه على جامع براثا، وأعطاه الأمر أن يقرأ الخطبة الإعتيادية، ففعل ذلك، ولكن بعض الحاضرين في الجامع قاموا برمي الخطيب بالحجارة بينما كان يقرأ خطبته، وقيل أن سبب ضربه أنه قال (اللهم إغفر للمسلمين، ومن زعم أن عليا مولاه)، فهرب الخطيب من الجامع بمساعدة أربعة من الأتراك تصادف حضورهم في المسجد، وقام ثلاثون رجلا بنهب دار هذا الخطيب ليلا، وهكذا لم يحضر الخطيب من بعدها للجامع، فلم تقم صلاة الجمعة في جامع براثا لبعض الوقت، فقام بعدها وجهاء الكرخ يرافقهم نقيب العلويين بطلب العفو من الخليفة لأولئك الذين قاموا بالعمل، فقام الخليفة بتعيين خطيبا آخر لجامع براثا، فعادت الصلاة الإعتيادية في الجامع[٤٨].وبذلك أصبح للأتراك الدور الرئيسي في إشعال الفتن الطائفية طمعا في الحصول على المكاسب، فقد ذكر إبن الجوزي أن أهل الكرخ عندما أرادوا إقامة مأتم الحسين في عاشوراء من سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) أنهم لم يغلقوا الأسواق، أو يعلقوا المسوح إلا بعد أن تاكدوا من بعد الأتراك عنهم، وهذا يعكس بلا شك دور الأتراك في إشعال الفتن الطائفية بالذات، على أن تحذر أهل الكرخ في تلك السنة لم يمنع حدوث فتنة بينهم وبين أهل القلائين، كما حدثت فتنة أخرى في شوال من نفس السنة، وكانت الفتنة هذه المرة بين تركي في باب البصرة وبعض الهاشميين، فقام الهاشميون برفع المصاحف في جامع المدينة، وأستنفروا الناس لهم، فأجتمع إليهم الفقهاء وعدد كبير من أهل الكرخ الشيعة وغيرهم، فدارت المواجهة بينهم وبين الأتراك، وتراموا بالنشاب والآجر، ونظرا لتجدد الفتن الطائفية لم تقم إحتفالات الغدير الشيعية والغار السنية وفي العام التالي (٤٢٢هـ/١٠٣١م) تجددت الفتن الطائفية بشكل أكبر، وذلك بسبب الخزلجي الصوفي الملقب بالمذكور، والذي أظهر العزم على الغزو، فأستأذن الخليفة القادر الذي أجازه، وأعطاه منشورا من دار الخلافة، وأعطى منحوقا، وأجتمع إليه

لفيفا كثيرا، وكان قاصدا جامع المدينة للصلاة فيه، ومن ثم قراءة المنشور للمصلين، فأجتاز باب الشعير متوجها إلى باب الحراني، وقد وضع المنحوق على راسه، وبين يديه الرجال بالسلاح، فصاح العوام بين يديه بذكر أبي بكر وعمر قائلين (إن هذا يوم مغازي)، فكان ذلك إستفزازا لأهل الكرخ الذين نافروهم ورموهم، فثارت الفتنة بينهما، ومنعت الصلاة، ونهبت دار الشريف المرتضى، ونهبت دور اليهود لأنهم أعانوا أهل الكرخ، ولم يأت الغد حتى تجمع عامة أهل السنة من الجانبين، وأنضم إليهم الكثير من الأتراك، وتقدموا قاصدين الكرخ، فأحرقوا وهدموا الأسواق، وقتل من أهل الكرخ جماعة ، وأنتهب الغلمان ما قدروا عليه، وأحترق وخرب بسبب هذه الفتنة أسواق العروس، والأنماط، والصفارين، والدقاقين، ومواضع أخرى، كما كبسوا جامع براثا، ونهبوا ما فيه

موقف الخليفة القادر من الشيعة : في نفس سنة (٤٢٢ه/١٠٣١م) توفى الخليفة القادر بالله العباسي، والذي عرف بمعارضته للشيعة بمختلف الطرق، ويمكن التأكد من ذلك بالنظر إلى مواقفه عندما قام بهاء الدولة البويهي بتعيين أبا أحمد الموسوي الشيعي منصب قاضي القضاة رفض الخليفة القادر الموافقة على تقليد رجل شيعي لهذا المنصب، وصمم على رأيه، وفي النهاية إضطر بهاء الدولة البويهي للإذعان له[٤٩]، كذلك قام الخليفة القادر بالله في سبيل الوقوف بوجه معتقدات المبتدعة، في سنة (٤٠٨/ ١٠١٧م) بعقد مجلس للتبرؤ من معتقدات المبتدعة وخاصة المعتزلة، وقام بإحياء النقاش القديم بشأن خلق القرآن الكريم في سنة (٤٠٩ه /١٠١٨م) عندما أعلن رأي أهل السنة بإباحة دم كل من يقول بخلق القرآن الكريم.ويلاحظ أن خلفه القائم بالله قد سار على نهجه، وبخاصة عندما قام في سنة (٤٣٣ه/١٠٤١م) بإصدار ما عرف بالإعتقاد القادري، نسبة إلى والده، ولقد أكد فيه على وحدانية الله، والصفات المقدسة، فهو القادر، والعالم، والسميع، والبصير، والمتكلم، كما أكد الإعتقاد القادري على خلود كلمات الله عز وجل، والذي هو جوهر الجدال بين القائلين بالشريعة وبين المعتزلة كما أكد على تبجيل صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حسب الترتيب أبو بكر، عمر، عثمان وعلي بن أبي طالب .

الأوضاع المذهبية في أواخر العصر البويهي: على الرغم من كثرة الإضطرابات والفتن الذي حفل بهم عهد جلال الدولة البويهي ولكنه ظل في الحكم ستة عشر سنة وأحد عشر شهرا حتى وفاته في سنة (٤٣٥ه/١٠٤٣م)، ليبايع أبا كاليجار مكانه، وهكذا أعاد الأخير توحيد مملكة البويهيين، ولم يشهد عصر أبو كاليجار البويهي إضطرابات كبيرة قياسا بفترة سلفه، خاصة أن وفرة المال لديه قد مكنه من كسب رضا الأتراك، فأستطاع وقتها أن يدفع إليهم أرزاقهم، فأذعنوا له طوال فترة حكمه، ولعل ذلك إثبات على أن الكثير من الفتن التي حدثت في عهد جلال الدولة البويهي كانت مفتعلة من قبل الأتراك بالتعاون مع العيارين من أجل الحصول على المال، وكان من الممكن أن يعم السلام الدولة وقتها لولا وفاة أبو كاليجار في سنة (٤٤٠ه/١٠٤٨م) وبعد وفاة أبو كاليجار خلفه إبنه الملك الرحيم البويهي، الذي كان معتمدا على مساندة الأتراك وأهل السنة، خاصة مع الصراعات التي نشبت بينه وبين إخوته من جانب، ومن جانب آخر كان وقتها قد إستفحل أمر دولة السلاجقة التركية، والتي باتت تهدد بقاء الدولة البويهية، ولعل ذلك ما جعل أهل الكرخ الشيعة يشعرون بعدم الأمان، ولذلك قاموا في سنة (٤٤١ه/١٠٤٩م) بإقامة سور فاصل بينهم وبين محلة القلائين السنية جنوبا، فقام أهل محلة القلائين بدورهم بإقامة سور لحماية محلتهم، وقام الأتراك بمساعدتهم بأموالهم وبغالهم، وقام كل من أهل الكرخ وأهل القلائين بنقل الأجر من المناطق المهدمة المجاورة، فحدثت فتنة بينهما في عيد الفطر، وحدث القتل والجرح، مما إستدعى

تدخل صاحب الشرطة بناءا على طلب الخليفة القائم، من أجل التسوية بين الطرفين المتصارعين، على أن طرفين المتصارعين لم يلبثا في العام التالي (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أن تصالحا مظهرين كلاهما التسامح التام تجاه الأخر، حتى أنهم تبنوا عادات بعضهم بعضا، فقام أهل الكرخ باستخدام صيغة الأذان السنية في أذانهم، وأظهروا الترحم على الصحابة، وبنفس الطريقة إستخدم أهل محلة القلائين صيغة أذان الشيعة، وزاروا ضريحي الإمامين علي بن أبي طالب والحسين بن علي رضي الله عنهما، وبدا ما حدث أنه نهاية للخلافات السنية الشيعية لو دامت، ولكنها مع الأسف كانت محاولة مؤقتة كان الغرض منها منع دخول صاحب الشرطة مجددا إلى الجانب الغربي، وتكرار ما قام به سابقا من قتل وتنكيل وحرق.ولم تلبث المشاكل المذهبية أن عادت مجددا في سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م)، وذلك عندما إنتهى أهل الكرخ من بنائهم، ونصبوا عليه أبراجا كتب عليها بالحروف المذهبة (محمد وعلي خير البشر) ، ولكن أهل السنة إدعوا أن هناك عبارة إضافية لم تكتب ولكنها معروفة، وهي تقول (فمن رضى فقد شكر، ومن أبى فقد كفر) ، وأنكر أهل الكرخ ذلك، فأرسل الخليفة العباسي نقيبا العباسيين والعلويين للتحقق من الأمر، وأكد هؤلاء أن عبارة أهل الكرخ صحيحة، ولكن الحنابلة المتشددين، والذين ساندهم معنويا وزير الخليفة إبن المسلمة رئيس الرؤساء، قاموا بمحاصرة الكرخ، ومنعوا سكانه من الحصول على الماء من نهر دجلة، وأجبروا أهل الكرخ على رفع عبارة خير البشر وإبدالها بعبارة عليهم السلام، ولم يرض أهل السنة بذلك فقط، بل صمموا على رفع الآجر الذي كتبت عليه العبارة كاملا، وطالبوا أن يعمل أهل الكرخ من الشيعة بأذان أهل السنة، فرفض أهل الكرخ ذلك، مما أدى إلى إستمرار النزاع. ومع مقتل أحد الهاشميين السنة قام أهل السنة في الشوارع والرحاب بإختراق الدهاليز والأبواب، وحثوا السكان على حمل السلاح والأخذ بالثار، وقاموا بدفن القتيل الهاشمي بالقرب من قبر أحمد بن حنبل، وعند عودتهم قاموا بإقتحام باب التبن، وهو الجزء الشرقي من مقابر قريش، فنهبوا وحرقوا ما فيه، وفي اليوم التالي عاود أهل السنة دخول مقابر قريش بأعداد أكبر، فقصدوا المشهد الكاظمي، وقاموا بإحراق قبري معز الدولة وجلال الدولة المدفونان في مقبرة بالقرب من مقابر قريش، فأمتدت النيران لتشمل قبور العباسيين من أمثال قبر الخليفة الأمين وأمه زبيدة وغيرهم.كما أراد بعض العامة في اليوم التالي حفر قبور أثنين من أئمة الشيعة لنقل رفاتهم بجوار قبر أحمد بن حنبل، لولا أن منعهم نقيب العباسيين وبعض الهاشميين، وردا على ذلك قام الكرخيون بدخول خان الفقهاء الحنفيين، فقتلوا أحد الفقهاء، وأستمرت المناوشات بينهما حتى إنتشرت إلى الجانب الشرقي من المدينة، وخطب في جامع براثا في يوم الجمعة، وأسقط أذان الشيعة يومها وفي سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) أعاد أهل الكرخ كتابة عبارة (محمد وعلي خير البشر)، وأعادوا العمل بأذانهم الخاص بهم، وأدى ذلك إلى قيام سكان سوق القلائين بالهجوم على أهل الكرخ في حملة هرب منها النظارة من الناس، وقتل يومها خمسا وثلاثين من الرجال، والنساء، والأطفال، وطرحت النار في الكرخ بالليل والنهار.وأخيرا حدث في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) أن تجمع أهل السنة في الجانب الشرقي من بغداد، وطالبوا الخليفة القائم بالسماح لهم بالقيام بحملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل التي قام بها الحنابلة في سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م)، وعندما سمح لهم الخليفة القائم بذلك، قام هؤلاء السنة بمهاجمة زورق قادم من واسط، كان يحمل عليه ستمائة جرة من الخمر لقائد الجيوش، والمتحكم بالدولة وقتها أرسلان البساسيري، وقاموا بتكسير الجرار وإراقتها، فكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة التي أشعلت المشكلة بين أرسلان البساسيري، المعروف بتشيعه على الرغم من كونه تركي الأصل، وبين الوزير رئيس الرؤساء والأتراك السنة، الذين إتهموه بمكاتبة الفاطميين في مصر، وأدى ذلك بالنهاية إلى إستنجاد الخليفة القائم بسلطان السلاجقة الذي بادر بالدخول

إلى بغداد في نفس السنة، وهكذا ساهمت هذه الفتنة الأخيرة في إنقراض دولة البويهيين الديلم الفرس(٥٠)

كل ما سبق ذكره من فتن طائفية بين السنة والشيعة خلال العصر البويهي يظهر مقدار إحتدام هذه الفتن خلال ذلك العصر، وكيف كان للفرس الديلم الدور في إشعالها بما أظهروه منذ بداية عهدهم من تحيز لمذهب معين دون التفات لتداعيات هذا التحيز، والذي تسبب بنشوب الكثير من الفتن الطائفية التي هدد بعضها وجود دولتهم، حتى أنهم عدلوا لاحقا عن ذلك، وحاولوا السيطرة على الوضع دون جدوى، خاصة مع نشوب الصراعات على السلطة فيما بينهم، وعدم إستقرار الأوضاع السياسية، إضافة من جانب أخر لدور الأتراك في إثارة العديد من هذه الفتن طمعا في تحقيق المكاسب المادية مستغلين ضعف السلطة السياسية في ذلك الوقت كانت هذه محاولة لتوضيح الدور التركي الفارسي في الصراعات المذهبية التي أعتبرت إحدى سمات العصر العباسي الثاني، وبخاصة خلال فترة حكم الأسرة البويهية، وأهم أحداثها، ومحاولات إصلاحها، ونتائجها المدمرة التي عصفت بالدولة العباسية في ذلك الوقت.

Abstract

The doctrinal conflicts during the Abbasid epoch and the role of Turks & Persians therein

By Abdel Salam Abdel Latif Abdel Aziz Ahmed El Houli

- The Abbasid epoch has witnessed the outbreak of the doctrinal conflicts between the Sunnis and Shiite in the second Abbasid epoch in particular and it reached its climax within the Bouihi epoch, where the ardent Turkish-Persian conflict in the second Abbasid epoch has played a pivotal role therein, knowing that the majority of Persians areShiites and Turks are Sunnis and both of them have played a role in agitating such conflicts which played a negative role individing the Muslims to conflicting factions, that resulted in inextinguishable bloody conflict that has not reached an end until the end of the Bouihi epoch.

On the other hand, such conflicts have not taken place accidently, but their causatives which will be discussed later were deeply rooted from the foundation of the Abbasid stateto the ups and downs among the relationships between the official state authorities and the Sunnis and Shiites till the Bouihi epoch that has seriously .witnessed the effervescence the doctrinal conflict

This research is discussing the ardent Sunni-Shiite conflicts, where the Turks and Persians have often playeda role therein.

الهوامش

١ الجهشياري-الوزراء والكتاب- ت: إبراهيم صالح- ط١- دار الكتب الوطنية – أبو ظبي- ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م- ص ٤٣٧

٢ المسعودي - مروج الذهب - ج ٤- ص ٣٤-٣٥ ، فهمي سعد - العامة في بغداد- ط١- ص ٤٦٥

3 Tamim Ansary- Destiny Disrupted- Public Affairs- New York- 2009- P. 105

٤ أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ٣ – ط١- مكتبة النهضة العربية- القاهرة- ص ٧٩

٥ المقدسي - أحسن التقاسيم- ص ١٢٦-١٣٠

٦ الجهمية : نسبة إلى الجهم بن صفوان المتوفي (١٢٤ه/٧٤١م) كان متفقا مع المعتزلة بنفس صفات الله، وهو مخالف للحنابلة

٧ موفق سالم نوري- أحمد بن حنبل وعلاقته بالسلطة العباسية- التاريخ العربي- عدد ٢٩- ص١٥٤

٨ إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ١ - المكتبة العصرية- بيروت- لبنان- ٢٠١٣م- ص١٣٨٣

٩ ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ط ٦- ج٦- ت: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت - ١٩٩٣- ص ٢٤٤

10 Akbar Shah Najeebabadi- 2001- History of Islam p2- P.472

١١ أحمد أمين - ظهر الإسلام - ج ١- ص ٤١-٥٦

١٢ السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٤٢٠-٤٢١ ، **Akbar Najeebabadi- History Of Islam- p2- P.474**

١٣ هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري رئيس الحنابلة، ، فهمي سعد - العامة في بغداد - ص ٤٨٥

١٤) المسعودي - مروج الذهب - ج ٤ - ص ١٩٤ ،التنوخي - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ج١

١٥ إبن الجوزي - المنتظم - ج ١٣- ص ٢٤٧-٢٤٨

١٦ القرآن الكريم - سورة الإسراء - أية ٧٩

١٧ إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ٢ - ص ١٦٥٠ ،إبن كثير - البداية والنهاية - ج٢- ص ١٧٠٧

١٨ الصولي - أخبار الراضي والمتقى عنى به: هيوارد دن- ط١- مكتبة الثقافة الدينيه - بورسعيد ألقاهرة
١٩ الهمذاني - تكملة تاريخ الطبري – دار المعارف- مصر- ص ٣٤٨
٢٠ فهمي سعد - العامة في بغداد- ص ٤٧٩
٢١ الصولي - أخبار الراضي والمتقي - ص ٢٠٦-٢١٣
٢٢عندما أمر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي الحرس بقتل أبي عبدالله الشيعي، فرجاهم ألا يفعلوا، فأجابوه أنه الذي أمرهم بطاعته ،إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢ - ص ١٥٧٢
٢٣ مفاز الله كبير - الأسرة البويهية في بغداد - ص ٣٧٤
٢٤ عريب - صلة تاريخ الطبري – دار ألمعارف – مصر - ص ٤٧
٢٥ إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢- ص ١٧٦٩ ، مفاز الله كبير - الأسرة البويهية في بغداد- ص ٣٧٥-٣٧٦
٢٦ مسكويه - تجارب الأمم وتعاقب الهمم- ت: سيد كسروي حسن –– دار الكتب العلمية- بيروت- ص ٢٧٦

27 Farouk Omar Fawzi- Aspects From Abbasid History- Al albayt University- Amman- Jordan- 2003- P.320

٢٨ فهمي سعد - العامة في بغداد - ص ٤٨٠
٢٩ إبن الجوزي - المنتظم - ج ١٤ - ص ١١٨
٣٠ التنوخي - نشوار المحاضرة - ج ١ - ص ٨٦-٨٨ ،الصابي – تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء – ت: أبو الفضل إبراهيم- ط١- دار الكتب العلمية- لبنان
٣١ إبن الجوزي - المنتظم - ج ١٤- ص ١٥٥ ، إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ٢ - ص ١٧٦٢
٣٢ مسكويه - تجارب الأمم - ج ٥ - ص ٣٥٣
٣٣ الهمذاني - تكملة الطبري - ص ٤٢٩ ، مسكويه - تجارب الأمم - ج ٥ - ص ٣٩٢-٣٩٣
٣٤ إبن الجوزي - المنتظم - ج ١٤- ص ٢٥٤

35 Farouk Omar Fawzi- 2003- Aspects From Abbasid History- P.321

٣٦ إإبن الجوزي - المنتظم - ج ١٤- ص ٣٤٤-٣٥٦-٣٦١ -٣٦٢ ،إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢ - ص ١٨٥٤
٣٧عميد الجيوش الحسن بن جعفر إستاذ هرمز، ولد سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) كان أبوه من حجاب عضد الدولة، خدم صمام الدولة وبهاء الدولة، ولاه بهاء الدولة تدبير العراق، قمع الكثير من الفتن الطائفية وفرض الهيبة، توفى سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)
٣٨ إبن الجوزي - المنتظم - ص ٣٣-٧٩ ، – **Akbar Shah Najeebabadi- History Of Islam – p2 – P.547**
٣٩ الصابي - ذيل مسكويه - ص ٤٦
٤٠ محمد بن محمد بن النعمان ولد سنة (٣٣٦هـ/٩٤٨م) وتوفي سنة (٤٠٣هـ/١٠٢٢م) لقب بالشيخ المفيد، كما لقب بإبن المعلم، كان من أبرز علماء الإمامية
٤١ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم المعروف بإبن الأكفاني، قاضي القضاة في بغداد، توفي سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) وله تسعون عاما إلا سنة واحدة.
٤٢ أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني هو إمام الشافعية، توفي سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)
٤٣ إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢- ص ١٨٨٥ ،إبن كثير - البداية والنهاية - ج٢- ص ١٧٨٦
٤٤ هو علي بن عيسى بن سليمان المعروف بالسكري، من أصول فارسية ، وتوفى في سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م)
٤٥ إبن كثير - البداية والنهاية - ج ٢ - ص ١٧٨٨
٤٦ إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢- ص ١٩٣٥-١٩٣٩
٤٧ إبن الجوزي - المنتظم - ج١٥- ص ١٧٠-١٧١ ، إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج٢- ص ١٩٥٤
٤٨ إبن الجوزي - المنتظم - ج١٥- ص ١٩٨-٢٠١ ،إبن كثير - البداية والنهاية - ج٢- ص ١٨٠٣
٤٩،إبن الأثير - الكامل في التاريخ -ج٢- ص١٩٧٨ ، إبن كثير - البداية والنهاية - ج٢- ص ١٨٠٥
٥٠إبن الجوزي - المنتظم - ج١٥- ص٣٤٧ ، إبن الأثير - الكامل في التاريخ -ج٢- ص٢٠٥٣

قائمة المصادر و المراجع

أولا المصادر والمراجع والدوريات العربية

- إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ١ - المكتبة العصرية- بيروت- لبنان- ٢٠١٣م/١٤٣٤ه
- إبن الجوزي - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك- ت: محمد ومصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٤١٢ه/١٩٩٢م
- إبن خلدون - مقدمة إبن خلدون- دار الجيل- بيروت
- إبن كثير - البداية والنهاية - – ط٢- بيت الأفكار الدولية
- أبو حيان التوحيدي - الإمتاع والمؤانسة -ط١- دار الفجر الجديد- القاهرة- ١٤١٣ه/١٩٩٣
- أبو سليم الأصفهاني - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ت : مصطفى عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية - لبنان- ٢٠١٠
- أحمد أمين - ضحى الإسلام – ط١- مكتبة النهضة العربية- القاهرة
- أحمد أمين - ظهر الأسلام - المكتبة العصرية- بيروت – لبنان
- التنوخي - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - ت: عبود الشالحي- ط٢- دار صادر- بيروت
- الجهشياري - الوزراء والكتاب – ت: إبراهيم صالح- ط١- دار الكتب الوطنية – أبو ظبي- ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م
- الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد- ت : مصطفى عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية- محمد علي بيضون- ١٤١٧ه/١٩٩٧م
- السيوطي - تاريخ الخلفاء – ت : محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت – لبنان- ١٤١٦ه/ ١٩٩٥)
- الشهرستاني - الملل والنحل – ت : أبو مجمد محمد بن فريد- المكتبة التوفيقية- القاهرة- ج ١
- الصابي – تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء – ت: أبو الفضل إبراهيم- ط١- دار الكتب العلمية- لبنان
- الصابي - ذيل مسكويه – ت: سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت
- الصولي - أخبار الراضي والمتقي- عنى به: هيوارد دن- ط١- مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد- القاهرة- ٢٠٠٩م
- الطبري - تاريخ الطبري – بيت الأفكار الدولية
- عريب - صلة تاريخ الطبري – دار المعارف- مصر
- فهمي سعد - العامة في بغداد- ط١- دار المنتخب العربي- بيروت- ص ٤٦٥
- القرآن الكريم
- المسعودي - مروج الذهب - المكتبة العصرية – بيروت- ٢٠١١م/١٤٣٢ه
- مسكويه - تجارب الأمم وتعاقب الهمم- ت: سيد كسروي حسن – دار الكتب العلمية- بيروت
- مفاز الله كبير - الأسرة البويهية في بغداد(٢٣٢ه/٩٦٢م- ٤٤٧هم١٠٥٥م)- ترجمة فلاح حسن الأسدي- ط١-بيت الحكمة- بغداد- العراق
- المقدسي - أحسن التقاسيم في معرفة دول الأقاليم- ط٣- مكتبة مدبولي- القاهرة- ١٤١١ه/١٩٩١م
- موفق سالم نوري- أحمد بن حنبل وعلاقته بالسلطة العباسية- التاريخ العربي- عدد ٢٩- المملكة المغربية- ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م
- الهمذاني - تكملة تاريخ الطبري – دار المعارف- مصر- ص ٣٤٨
- ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ط ٦- ج٦- ت: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت – ١٩٩٣

ثانيا المراجع الأجنبية والدوريات

- Akbar Shah Najeebabadi- 2001- History of Islam-revised by : safuir rahman mubarakpuru-1 st Edition- Darussalam – Riyadh
- Farouk Omar Fawzi- Aspects From Abbasid History- Al albayt University- Amman- Jordan- 2003
- Karen Armstrong- Islam- 2002- phoenix press- (UK)
- Tamim Ansary- Destiny Disrupted- Public Affairs- New York